﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: 48]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

لمّا جُمِعَ النّاسُ آن أوانُ عرْضِهم على الجليلِ لحسابِهم

بعد أن ذكر النَّظمُ الجليل أنَّ العبادَ يُحشَرون إلى الموقف دون أن يُترك منهم أحدٌ؛ أعقبَ ذلك ببيانِ أنَّ الحشرَ كائنٌ للعرض على الله تعالى، وبيانِ كيفيَّة ذلك العرض[1]، فبعد أن ذكرتِ السّورةُ الكريمةُ الأحوالَ السّابقةَ مِن أهوالِ يوم القيامة؛ بيَّن النَّظمُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ حالةً أخرى مِن تلك الأحوالِ، وهي حالةُ عَرْضِ العبادِ على الله تعالى بعد جمعِهم في الموقف[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَعُرِضُواْ﴾: (عرض) وهو العَرْضُ الَّذي يُخالِفُ الطّولَ[3]، وعَرَضْتُ الكِتاب، وعَرَضْتُ الجُنْدَ عرْضَ العَيْنِ؛ إذا أَمرَرْتَهم علَيْكَ، ونَظَرْتَ ما حالُهم، وعَرَضْتُ عليْه أَمرَ كَذا، وعَرَضْتُ لَهُ الشَّيْءَ، أي: أَظهرتُه لَهُ، وأَبْرَزْتُه إليه[4]، والمرادُ به في الآية الكريمةِ: إحضارُهم ليُرى حالُهم، وما سيَتَلقَّون مِن أمرِ الله تعالى[5].

2) ﴿صَفًّا﴾: (صفف) هو اسْتِواءٌ في الشَّيْءِ وتَساوٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ في المَقَرِّ، مِنْ ذلِكَ الصَّفُّ، يُقالُ: وقَفا صَفًّا؛ إذا وقَفَ كُلُّ واحِدٍ إِلَى جَنْبِ صاحِبِهِ، واصْطَفَّ القَوْمُ، وتَصافّوا، والأَصْلُ في ذلِكَ

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 469، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 71.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 529.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرض).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (عرض).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 336.

الصَّفْصَفُ، وهو المُسْتَوي مِنَ الأَرْضِ[1]، والصَّفُّ: السَّطْرُ المُسْتَوي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ - معروفٌ، كالنّاس والأشجار، وجَمعُهُ: صُفوفٌ، وصَفَفْتُ القَوْمَ فاصْطَفّوا؛ إذا أَقمتَهم في الحَرْبِ صَفًّا[2]، والمرادُ به في الآية الكريمةِ، أي: مُترتِّبين في المواقف، بحيثُ لا يَحْجُبُ بعضُهم بعضًا، كلٌّ في رُتبته[3].

3) ﴿مَّوْعِدًا﴾: (وعد) أصلٌ يدُلُّ على تَرْجيَةٍ بقَوْلٍ، يُقالُ: وعَدْتُهُ أَعِدُهُ وعْدًا، ويَكونُ ذلِكَ بخَيْرٍ وشَرٍّ[4]، والمَوْعِدُ والميعادُ: يكونان مصدرًا واسمًا، قال تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ [طه: 58]، ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: 59][5]، والمَوْعِدُ: مَوْضِعُ التّواعُدِ، ويَكونُ وقْتًا للعِدةِ[6]، والمرادُ به في الآية الكريمةِ، أي: "مكانًا ووقتًا نجمعُكم فيه هذا الجمعَ، فنُنجزُ ما وعدناكم به على ألسنةِ الرُّسلِ"[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العرضُ للحسابِ والتَّوبيخِ على سوءِ الاعتقادِ

وأُحضِروا جميعًا إلى ربِّك مَصفوفين في صفٍّ واحدٍ، أو في صفوفٍ مُتعدِّدةٍ، ليَقضيَ فيهم سبحانَه بقضائه العادلِ، ونقولُ لمُنكري البعثِ والحسابِ بعد عرْضِهم علينا على سبيل التَّوبيخِ والتَّأنيبِ: لقد جئتُمونا - أيُّها المُكذِّبون - مجيئًا كائنًا كمجيئِكم عند خلْقِنا إيّاكم أوَّلَ مرَّةٍ، أي: حفاةً عُراةً لا مال معكم ولا ولد، بل زعمتُم - أيُّها المكذِّبون بالبعث - أن لن نجعلَ لكم زمانًا أو مكانًا نُجازيكم فيه على أعمالِكم، وأنكرتُم إنكارًا مصحوبًا بقسمِ أنَّنا لا نبعثُ مَن يموتُ[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صف).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (صفف).
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 40.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(5) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (وعد).
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 72.
(8) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 529 - 530.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في ﴿وَعُرِضُواْ﴾:

ذِكْرُ أحوالِ يومِ القيامةِ حالًا بعد حالٍ

عطفَ النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ بالواو على الجملة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾[1]؛ لأنَّها حالٌ من أحوالِ يومِ القيامة وأهوالِها، فعَدَّدَتِ السّورةُ الأحوالَ التي ستكونُ يومَ القيامة تِباعًا، فبعدَ إزالة الجبالِ وإذهابِها، وتهيئةِ الموقف للحساب، وجمعِ العباد، كانت الغايةُ من ذلك هي عرضُهم على الله تعالى؛ لبدءِ حسابِهم وتطايُرِ الصُّحفِ.

دلالةُ بناءِ الفعلِ للمفعول ﴿وَعُرِضُواْ﴾:

العَرْضُ للحسابِ جديرٌ بالخوفِ منه لذاتِه لا بالنَّظرِ لفاعلِه

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عنِ العرضِ بالفعلِ المبنيِّ للمفعول في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ تفخيمًا لطريقة الكلام، فقد جرتِ العادةُ من كلام الكُبراء أن يُبنَى على المفعول تعظيمًا لشأن المحذوفِ، كما أنَّ فيه تنبيهًا على أنَّ الاهتمامَ مُنصبٌّ على المَخوف، وهو العرضُ للحساب لذاته لا لكونِه من معيَّنٍ[2].

التَّعبيرُ بالماضي في ﴿وَعُرِضُواْ﴾:

تنزيلُ مُؤكَّدِ الوقوعِ مُستقبلًا منزلةَ الواقعِ فعلًا

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل الماضي في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، دونَ الفعلِ المضارع مع أنَّه حَدَثٌ مستقبليٌّ؛ وذلك للدَّلالة على تحقُّقِه وتأكيدِ وقوعِه، وهذا أنسبُ في مقام الوعظِ والتَّرهيبِ للاعتبارِ والتَّذكيرِ.

سرُّ التَّعبيرِ عن نائبِ فاعلٍ بضميرِ الجماعةِ:

الذين عُرضوا على الحسابِ همُ الذين حُشِروا

أسندَ النَّظمُ الجليل فعلَ العرض إلى واو الجماعة في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، والمرادُ بهم المحشورون المذكورون في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[3]، فأُضمِرَ

(1) مجموعة من المؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1312.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 71.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 40.

للدَّلالة على أنَّ المرادَ بهم الذين جرى الحديثُ عنهم عند ذكر الحشرِ أنفسُهم، وتومئُ صيغةُ الجمع إلى أنَّ الله تعالى لا يُعجزُه حشرُهم، وعرضُهم على كثرتِهم واختلافِ أزمانهم.

بَلاغةُ الاستعارةِ في لفظ ﴿وَعُرِضُواْ﴾:

إحضارُهم ليَعلموا أنَّهم مُلاقو ما وعدَ ربُّهم

عرْضُ الشَّيء: إحضارُه ليرى حالَه وما يحتاجُه، ومنه عرضُ الجيش على الأمير ليرَى حالَهم وعِدَّتَهم، قال رسول الله ﷺ: "عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ"[1]، وهو هنا مُستعارٌ لإحضارهم؛ إذ يَعلمون أنَّهم سيتلقَّون ما يأمرُ الله به في شأنِهم[2].

معنَى حرفِ الاستعلاءِ، ودلالتُه المَجازيَّةُ:

أظهِروا وبُرِّزوا كما يُعرضُ الجيشُ على الأميرِ

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الاستعلاءِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ للدَّلالة على إظهار أمرِهم وانكشافِ حالهم، فمعنى: عَرَضْتُ عليه أمرَ كذا، أي: أظهرتُه له، وأَبْرزتُه إليه[3]، فالاستعلاءُ مَجازيٌّ مستعملٌ للدَّلالة على شِدَّة انكشافِ أمرِهم لله تعالى، والمرادُ من ذلك: بيانُ شدَّةِ الأهوال في ذلك اليوم؛ لتأتيَ الموعظةُ في الآية على أتمِّ بيانٍ وحالٍ.

سِرُّ الإضافةِ في ﴿رَبِّكَ﴾:

اللهُ تعالى المُحسنُ على النّاسِ ببعثةِ الأنبياءِ هو الذي يُحاسبُهم

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ الرُّبوبيَّةِ إلى الضَّمير المخاطَبِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، الذي يُرادُ به النَّبيُّ ﷺ؛ إشارةً إلى (أنَّ ربَّك الذي أحسن إليكَ بالنُّبوَّة، والذي لا تضيعُ عندَه الرُّتبُ ولا الفضائلُ، هو الذي سيحاسبُهم)، فتتضمَّنُ الإضافةُ التَّنويهَ بشأن النَّبيّ ﷺ، دالَّةً على أنَّ عرضَ النّاس على الله تعالى للحسابِ وما فيه منَ التَّهديد يتضمَّنُ نصيبًا منَ الانتصارِ للنَّبيِّ ﷺ؛ إذ كذَّبوه حين أخبرَهم، وأنذرَهم بالبعث[4].

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (3229)، ومسلم في صحيحه، برقم: (220).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 336.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (عرض).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 336.

نُكْتَةُ العُدولِ عنِ الإضمار إلى الإظهار في ﴿رَبِّكَ﴾:

لطفُ المولَى بنبيِّه بعد تكذيبِ رسالتِه مِن رحمةِ الرَّبِّ الكريمِ

عدلَ النَّظمُ الجليل عنِ الإضمار في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، فلم يقل: (وعرضوا علينا)، فأَظْهرَ لفظَ الرُّبوبيَّةِ، والتَّعبيرُ بالاسم الظّاهر يقتضي الغيبةَ، فعدلَ عن صيغةِ التَّكلُّم في العبارة السّابقة: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ التفاتًا منَ التَّكلُّم إلى الغيبة؛ وذلك لأنَّ إظهارَ لفظِ الرُّبوبيَّة أدلُّ على تربية المهابةِ، وإظهارِ اللُّطفِ بالنَّبيِّ ﷺ[1].

في التَّهديدِ إظهارٌ للانتصارِ للنَّبيِّ ﷺ

وعدلَ عنِ الإضمار إلى التَّعريف بالإضافة أيضًا؛ لتَضَمُّنِ الإضافة تنويهًا بشأن المضافِ إليه، بأنَّ في هذا العرضِ وما فيه مِنَ التَّهديد نصيبًا مِنَ الانتصار للمخاطَب، وهو النَّبيُّ ﷺ؛ إذ أَعرَضوا عنه، وكذَّبوه حين أخبرَهم، وأنذرَهم بالبعث، ودعاهم إلى العملِ لذلك اليوم[2].

سرُّ التَّقييدِ بالحال ﴿صَفًّا﴾:

يُساقُ المُجرمون إلى الموقفِ سَوْقَ الجُناة إلى القضاءِ

قيَّد النَّظمُ الجليل كيفيَّةَ عرْضهم على الله تعالى في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، بأنَّها كائنةٌ على وفْقِ نظامٍ ونَسقٍ يليقُ بالمقام الجليل، "أي: مُصطفّين مترتِّبين في المواقف، لا يَحْجُبُ بعضُهم بعضًا، كلٌّ في رُتبته"[3]، فهم ظاهرون مُصطفّون بحيثُ ترى جماعتَهم، كما ترَى كلَّ واحدٍ منهم، لا يَحجُبُ أحدٌ أحدًا، فعُرضوا بحالةٍ تشبهُ حالةَ عَرضِ الجندِ على السُّلطان[4]، وفائدةُ وصْفِ عرضِهم بتلك الحالة تُؤذِنُ بأنَّهم أُحضِروا إلى الموقف كما يُحضَر الجناةُ، لا يخفى منهم أحدٌ، وذلك أوقعُ للرُّعب في قلوبِهم[5].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 226.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 336.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 40.
(4) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 304.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 336.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظِ ﴿صَفًّا﴾:

الـغـايـةُ مِـن عـرْضِ الـجُـنـدِ عـلى السُّلطانِ إظهارُهم عندَه

قولُه: ﴿صَفًّا﴾، أي: مُصطفّين، بمعنى أنَّ ﴿صَفًّا﴾: حالٌ من الواو في: ﴿وَعُرِضُواْ﴾؛ فالمقصودُ من عَرْضِ الجُندِ على السُّلطان إظهارُهم عندَه، فجعل ﴿صَفًّا﴾ ترشيحًا لاستعارة ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾، كقوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: 48][1]، ويجوزُ فيها الاستعارةُ التَّمثيليَّةُ، شُبِّهتِ الهيئةُ المأخوذةُ مِن أمورٍ كثيرةٍ، وهي أهلُ الموقف وحشْرُهم، أي: جمعُهم وخطابُه تعالى لهم بالهيئةِ المُنتزعةِ من أمورٍ عديدةٍ أخرى، وهي الجُندُ والسُّلطان، وعَرْضُهم عليه ليأمرَهم بأشياءَ، فذُكِرَ اللَّفْظُ الموضوعُ للمشبَّه به، وأُريدَ المشبَّه، ويحتملُ أن يكون اسْتعارَةً تبعيَّةً وحدَها، أو معَ الاسْتعارَةِ التَّمثيليَّةِ، فالمشبَّهُ: حشْرُهم، والمشبَّهُ به: عرْضُ الجُندِ للأمرِ[2].

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾:

مَـن يُبعثُ بعدَ المـوتِ يُـشبِـهُ الـحـاضـرَ بعد غيبةٍ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ استعارَ المَجيءَ للبعث بعدَ الموت، أي: "بعثْناكم، وأَعَدْناكم كما خلقْناكم؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ معناه: بعثْناكم"[3]، فشبّهَ مَن يُبعثُ مِنَ الموت بمَن يأتي بعد غيبةٍ، وحذفَ المُشبَّهَ به، وهو الميِّت الذي يُبعث، وصرَّح بالمشبَّه، وهو الذي يجيءُ، والجامعُ بينهما الحضورُ بعد غيبةٍ، فهي استعارةٌ تصريحيَّةٌ.

سرُّ العُدولِ عنِ التَّعبيرِ بالمستقبلِ إلى التَّعبيرِ بالماضي:

التَّرهيبُ بمآلِ الأمـورِ يـوقـظُ الغافلَ مِن سوءِ ما ينتظرُه

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعلِ الماضي دونَ المضارع في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، مع أنَّه حَدَثٌ يقعُ في المستقبل؛ وذلك لتأكيدِ وقوعِه وتحقيقِه، وتنزيلِه منزلةَ الواقعِ بالفعل[4]، وهذا

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 9/ 489.
(2) القونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 97.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 346.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 530.

الأسلوبُ أبلغُ في الوعظِ والتَّرهيبِ وإيقاعِ التَّأثير في روعِ النُّفوس؛ طلبًا لإيقاظِ الإيمان في قلوبِهم.

سرُّ التَّوكيدِ باللّام و(قد):

إصـرارُهـم على الإنكار يَستحقُّ الـتَّـهـديـد، والتَّوكيد لتحقُّق مجيئهم

وتوكيدُ خبرِ مجيئِهم في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ بـ(اللّام)، و(قد) توكيدٌ لتحقُّقِ مجيئِهم، وتهديدٌ لهم، وتغليظٌ، وتنديمٌ على إنكارهم البعثَ، وتكذيبِهم الإنذارَ بوقوعِه[1]، وفي التَّوكيدِ بـ (اللّام وقد) - أيضًا - إشارتان: الأولى: أنَّهم يَجيئون مُجرَّدين من كلِّ نسبٍ وحالٍ مِن أحوالِ الدُّنيا، التي كانوا بها يَتفاخرون، مِن مال ونفر، وهيل وهيلمان وسُلطان، والثّانيةُ: إشارةٌ إلى قدرة اللّه الكاملةِ المُسيطرةِ، وأنَّه أعادهم كما بدأهم[2].

الغرَضُ منَ التَّشبيه في ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾:

بـعـثُ الـعـبـادِ إلى يومِ القيامة هـيِّنٌ عـند الله كخلْقِهم في أوَّلِ الحياةِ

شبَّه النَّظمُ الجليل إعادةَ الخلائقِ إلى الحياة مرَّةً ثانيةً في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ بخلْقِهم أوَّلَ مرَّةٍ؛ فالعبارةُ التي دخلَ عليها حرفُ التَّشبيه ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ في موضع مصدرٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: (جئتمونا مجيئًا مثلَ مجيئِكم في خلْقِكم أوَّلَ مرَّة)، فإعادةُ الخلائق للحياة وخَلْقُهم مرَّةً أخرى تُشبه الخلقَ الأوَّلَ، وعليه فإنَّ (ما) مصدريَّةٌ، والغرضُ من هذا التَّشبيه: التَّعريضُ بخطئِهم في إنكارهم البعثَ[3]، أي: ستعودون أحياءَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، كخلْقِكم أوَّلَ مرَّة[4].

معنَى ﴿بَلْ﴾ ودلالتُها في: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾:

الانـتـقـالُ مِـن حديثٍ عـامٍّ إلى الـحـديـثِ عـن مُنكري البعثِ

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرفِ الإضرابِ ﴿بَلْ﴾ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾؛ للإيذان بأنَّ الحديثَ عن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 336.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4541.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 187، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 336 - 337.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 71.

حشْرِ النّاسِ وعرضِهم قد تمَّ، وبدأَ في كلامٍ آخرَ؛ وذلك لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ عامٌّ في المؤمن والكافرِ، فلمّا شرعَ في كلامٍ خاصٍّ لأحدِ الفريقَين؛ أدخل ﴿بَلْ﴾ ليُؤذِن بتحقيقِ ما سبقَ، وتوكيدِ ما يأتي بعدَه، فالخطابُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ خاصٌّ بمنكري البعثِ[1]، فالتَّعبيرُ بـ ﴿بَلْ﴾ جاء للخروج من خبرٍ إلى خبر آخرَ، فدلَّتْ على الانتقالِ، لا على الإبطالِ[2].

الغرضُ مِن استعمالِ الخبرِ في التَّغليظ مَجازًا:

التَّغليظُ على مُنكري البعثِ حالَ وقوعِ البعثِ

خاطبَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ بحكايةِ ما زَعموا، والمرادُ من هذا الخبرِ التَّغليظُ عليهم بمقولتِهم تلك، فهو خطابٌ خاصٌّ لمنكري البعثِ، أي: إنَّكم ادَّعيْتُم في الحياةِ الدُّنيا أن لن تُبعثوا، فالله تعالى وعدَهمُ البعثَ، ولكنَّهم كذَّبوا، ولم يُصدِّقوا[3]، فالمرادُ منَ الخبر: الدَّلالةُ المجازيَّةُ، وهي التَّقريعُ والتَّغليظُ عليهم، وليس أنَّه يُخبرُهم بأنَّهم كذَّبوا بالبعثِ فحسب، والمعنى: إنَّكم اعتقدتم أنَّ الله لا يبعثُكم بعد الموت أبدًا[4].

دلالةُ النَّفي في: ﴿أَلَّن﴾:

في حياتِهم الدُّنيا نَفَوا وجودَ البعثِ في المستقبلِ

استعمل النَّظمُ الجليل حرفَ النَّفي ﴿أَلَّن﴾ الدّالَّ على نفي المستقبل، في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾؛ لأنَّ المرادَ حكايةُ الحالِ الماضيةِ، أي: إنَّكم في حياتكم الدُّنيا كنتُم قد نفيْتُم أن يكون في المستقبل بعثٌ بعدَ الموت[5].

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 41.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 41.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 41.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 337.
(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 92.

الغرضُ من تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿لَكُم﴾ على المفعولِ به ﴿مَّوْعِدًا﴾:

التَّقديم للاهتمام، ونفيُ أن يكونَ لهم موعدٌ مقدَّمٌ يكشفُ عن غرورِهم

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور على المفعول به في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾، دون أن يقول على أصل ترتيبِ الكلام: (لن نجعل موعدًا لكم)؛ للحفاظ على نسقِ الفاصلة، وحفظُ الفاصلة له أثرٌ بليغٌ في جعلِ النَّصِّ مُتناسقًا صوتيًّا، كما أنَّ في تقديم شبْه الجملةِ المُتضمِّنةِ ضميرَ المخاطَبين إشارةً إلى الاهتمام بهم، فأصلُ الكلام هو حكايةُ مقولتِهم التي قالوها في الدُّنيا؛ إذ قالوا: (لن يجعل لنا موعدًا)، فأعاد النَّظمُ الجليل حكايةَ قولهم مع تغيير الضَّمير ليكونَ مخاطَبًا، ودلالةُ ذلك التَّقديمِ الاهتمامُ بذكر مَن يُجْعَلُ الموعِدُ له أكثر من الاهتمام بذكر الوعد ذاتِه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»